الاغتراب في شعر المُتَلْمِّس الضُبعِي

Alienation in the Poetry of Al-Mutalmis Al-Dabai

م.د. جابر خميس عباس
المديرية العامة لتربية محافظة واسط
Jaber Kamees7@ gmial.com

الملخص:

تهدف هذه الدراسة الى ابراز الجانب الانساني لظاهرة الاغتراب التي يعيشها الشاعر الجاهلي المتلمس الضبعي ،ومحالة استجلاء تلك الظاهرة ،وبيان اهم تمظهراتها في شعره، من حيث ان الاغتراب هو تعبير الفرد عن انسلاخه وانفصاله عن محيطه المادي والفكري الذي يعيش فيه، اما بالانسحاب والعزلة، أو بالثورة والتمرد عليه والخروج عن الاعراف والقيم السائدة فيه، ومحاولة تغير ذلك الواقع المؤلم من اجل التخلص من تلك المشاعر الاغترابية التي تعبث في نفسه.

ولما كان الشعر خارجاً من أعماق الشاعر، ومن تجربته الانسانية نتيجة لتأثره بعوامل متعددة خارجية وداخلية يمر بها، فقد أسهمت الظروف التأريخية والاجتماعية والنفسية التي يعيشها المتلمس الضبعي، في بلورة ظاهرة الاغتراب، وانعكاس أثرها في نصوصه الشعرية، والتي بدت قطعة من الحزن والالم والضياع والغربة، فاتسعت شقة معاناته واشتملت على جوانب الحياة المختلفة، فظهرت أنواعاً متعددة للاغتراب الذي يعيشه الشاعر ضمن تجربته الشعرية كالاغتراب الاجتماعي، والنفسي، والسياسي، والوجودي، والمكاني، وقد ولّد هذا الواقع الاغترابي تمزيقاً ذاتياً وعائقاً نفسياً أرقاً ذات الشاعر المغتربة، مما زاد من احساسه بالغربة والاغتراب، فجاءت تجربته الابداعية صادقة وعميقة.

الكلمات المفتاحية: الشعر الجاهلي، الاغتراب الاجتماعي، الاغتراب النفسي، الاغتراب السياسي، الاغتراب الوجودي.

Research Title: Alienation in the Poetry of Al-Muntalmis Al-Daba'i

Researcher name: M.D. Jaber Khamis Abbas

The General Directorate of Education of Wasit Governorate

Jaber Kamees7@gmial.com

Abstract

Alienation in the Poetry of Al-Mutalmis Al-Dabai
Abstract This study aims to highlight the human aspect of the phenomenon of alienation experienced by the pre-Islamic poet Al-Mutamis Al-Dabai, and the impossibility of clarifying this phenomenon, and to show the most important manifestations in his poetry, in that alienation is the individual's expression of his alienation and separation from his physical and intellectual surroundings in which he lives, either by withdrawal and isolation, or by revolution and rebellion against it. Departing from the norms and values prevailing in it, and trying to change that painful reality in order to get rid of those alienated feelings that are messing with himself. And since poetry is outside the depths of the poet, and from his human experience as a result of his being affected by multiple external and internal factors he is going through, the historical, social and psychological conditions experienced by the hyena have contributed to crystallizing the phenomenon of alienation, and the reflection of its impact in his poetic texts, which seemed to be a piece of sadness, pain, loss and alienation, thus widening his suffering apartment. It included the various aspects of life, thus showing various types of alienation experienced by the poet within his poetic experience Such as social, psychological, political, existential, and spatial alienation, and this alienated reality generated self-tearing and a psychological obstacle that insomnia the expatriate poet, which increased his sense of alienation and alienation, so his creative experience came .honest and deep

Keywords: pre-Islamic poetry, social alienation, psychological alienation, .political alienation, existential alienation

المقدمة:

ان هذا الموضوع يمثل دراسة لظاهرة انسانية قديمة عرفتها المجتمعات الاولى, حاولت تسليط الضوء على هذه الظاهرة من منظور ادبي , مع بيان رؤية الشاعر الجاهلي اتجاه معطياتها مختلفة. اذ ترتكز هذه الدراسة في حديثها الاساس على تناول هذه الظاهرة عند الشاعر الجاهلي المتلمس الضبعي, من جوانبها الاجتماعية والنفسية والسياسية والوجودية والمكانية, وبيان موقف الشاعر من هذه الظاهرة, وكيفية تعامله مع تلك الظاهرة.

تكمن اهمية هذه الدراسة في انها تتناول ظاهرة انسانية عامة ذات تأثير في حياة الانسان ونشاطاته المختلفة, فقد استحوذت على اهتمام كثير من الباحثين في العصر الحديث, ودرسوها من جوانبها المختلفة الفلسفية والاجتماعية والنفسية, لكنها تلتقي جميعاً عند فكرة واحدة هي شعور الفرد بالانسلاخ والانعزال عن المجتمع الذي يعيش فيه, والتي تتحكم فيه وتفرض عليه قيود الحزن والالم والضياع وعدم الشعور بمغزى الحياة .

مفهوم الاغتراب لغةً واصطلاحاً:

الاغتراب لغة:

تشير المعجمات اللغوية العربية إلى أنَّ مصطلح (الاغتراب) مشتق من الجذر اللغوي (غَرَبَ)، وهو يدلُّ على البُعد والتنحي عن الناس. وقد غَرَبَ عنا يَغْرُبُ غَرْباً، وغَرَّبَ وأَغْرَبَ إذا نحاه، والغَرْبة، والغَرْب: البُعد والنوى، وغربة النوى بُعدها، وغَرَبَ: أي بَعْدَ[1].

ويُقال: أغرُب عني، أي تباعد، والغُربة والغُرب: النزوح عن الوطن، ورجل غُرُب أو غريب: غريب عن وطنهِ، والأنثى غريبة[2].

ومن هنا يتضح أنَّ لفظة (الاغتراب) في معناها اللغوي تدلُّ على البُعد ومفارقة الوطن، والغريب هو الإنسان البعيد عن وطنه.

الاغتراب اصطلاحاً:

من الصعب تحديد المعنى الاصطلاحي للاغتراب تحديداً دقيقاً، نظراً لاختلاف استعماله في البحوث الاجتماعية والدينية والدراسات الفلسفية وفي مجالات النشاطات الثقافية والأدبية وغيرها،وقد عرفه المستشرق (فروم) إذ يقول: " هو ما يعانيه الفرد من خبرة الانفصال عن وجوده الإنساني وعن مجتمعه وعن الأفعال التي تصدر عنه، فيفقد سيطرته عليها وتصبح متحكمة فيه، فلا يشعر بأنه مركز لعالمه ومتحكم في تصرفاته "[3].

فالاغتراب هو إخفاق الشخص في التكييف مع الاوضاع السائدة في المجتمع واللامبالاة وعدم الشعور بالانتماء، مما ينتج عنه فتور العلاقة الحميمة مع الأوضاع والأشخاص المحيطين، أو

المجتمع ككل، وانهيار العلاقات الاجتماعية والشعور بالوحدة وانعدام التواصل مع الآخرين. مما ينجم عن الاغتراب شعور بالوحدة والفراغ النفسي، تؤدي بالمغترب إلى حالات من التمرد والعصيان والخروج عن الأعراف والقيم، ورفض الهوية الثقافية وقيم المجتمع، فتظهر لدى المغترب سلوكيات غير مألوفة، كالانسحاب والعزلة، وعدم المشاركة في المسؤولية الاجتماعية، والتمركز حول الذات، فيلازمه شعور بالقلق والاضطراب، وعدم الانسجام مع المحيط الذي يعيش فيه[4].

الاغتراب في الحياة العربية قبل الإسلام:

يُعدُّ الاغتراب من الظواهر القديمة جداً التي تمتد جذورها إلى المجتمعات الإنسانية الأولى؛ بسبب الأزمات التي تتمخض فيها بشكل أو بآخر، وقد واجهها الفرد بحسب قدراته المادية والروحية، وقد كانت تقوده في بعض الأحيان إلى التمرد والعصيان، وفي أحيان أُخرى إلى الاستسلام والانعزال عن الذات وعن الاخرين[5].

لقد واكب الاغتراب حياة العربي منذ أن عرف الحياة حسنها وقبحها. لذا عانى من مرارة الاغتراب وضاقَ به ضرعاً، للتنقل المفروض عليه، بحثاً عن الكلأ والماء، وأحياناً أُخرى الأعراف التي تفرضها القبيلة على الفرد إزاء اقتراف أي ذنب أو مخالفة تقاليد القبيلة أو محاولة الخروج عن نظامها، الأمر الذي يجعل الإنسان الجاهلي يحسُّ بالغربة وهو ينأى عن مكانه الأصلي إلى مكان آخر غريب عنه. "ويظلُّ الاغتراب إحدى وسائل الكشف عن دقائق حياة الجاهلي وتفاصيلها، وإحدى صور الغوص وراء معطيات عالمه الخاص، وقد حدا به إلى ضرب من الانطواء، أو عكس ذلك من الرغبة في تجاوز القيم، والانفتاح على مادة الواقع، أو غير ذلك من مواقف تحكيها لحظات الإحساس بالفقد أو الحرمان، أو معايشة عالم الضياع، أو الوقوف عند منطقة الاستسلام والانهزام، أو الإحساس بالقلق والاضطراب والتمزق، وغيرها من الأبعاد التي تحكي قصة الشاعر الجاهلي وصراعه مع عالمه الواقعي والشعري" [6].

وقد عانى شعراء الجاهلية الاغتراب بأنماطه المتنوعة، فقد قاسى امرؤ القيس تجربة الاغتراب عن الديار والوطن، حيث أمضى شطراً كبيراً من حياته شريداً طريداً بعدما أنكر عليه أبوه قول الشعر حينما تغزّل بابنة عمه، وخرج مغضوباً عليه، وازدادت غربته حين قتل أبوه وتخلت قبيلته عن نجدته وحمايته من القتل، فتصدع انتماؤه لقبيلته، وانطلق غريباً وحيداً ينشد معيناً يساعده على أن يأخذ بثأر أبيه، ويسترد ملكه المسلوب، كما تجرع طرفة بن العبد مرارة الاغتراب هو الآخر، فلقد طبقت مفاهيم المجتمع القاسية عليه وعلى أسرته، فقد تقاسم أعمامه مال أبيه وواجهوه بمعاملة فظة على الرغم من حداثة سنه، الأمر الذي دفعه إلى التمرد والثورة على قيم هذا المجتمع الظالم، وعاش

عنترة تجربة الاغتراب العنصري المريرة، فقد تنكرت له قبيلته بما في ذلك أبوه وعمه وأذاقوه صنوف العذاب والاهانة بسبب سواد لونه وعبوديته، مما ملأ نفسه إحساساً بالهوان والضياع.

كما جسّدت حياة الصعاليك خير مثال على الاغتراب الاجتماعي والنفسي، فهم برفضهم لجانب من قيم المجتمع، وتمردهم عليه ومحاولتهم البحث عن نظام اجتماعي بديل يحفظ حقوقهم، إنما يعبّرون تعبيراً صادقاً عن ذلك الاغتراب، فتجربتهم تتضمن الخروج والثورة على قبائلهم، فاتخذوا من القوة وسيلة لتحقيق أهدافهم.

ولقد قاسى الشاعر الجاهلي المتلمس الضبعي – موضوع البحث – آلام الغربة والاغتراب، حيث أرغم على ترك أهله وديارِه، إلى أرض الشام هرباً من بطش عمرو بن هند ملك الحيرة، بعد هجاء المتلمس له، فلما بلغ عمرو بن هند فراره إلى الشام نذر دمه، وحرّم عليه دخول العراق، مما ألهب ذلك في قلبه نيران الحنان والشوق إلى العراق وأهله، وقد استقر به المقام في مدينة بصرى من أعمال دمشق، حتى مات فيها غريباً[7].

ولا بُدَّ من الإشارة إلى أنَّ دراستنا هذه، ستقوم برصد ظاهرة الاغتراب عند المتلمس الضبعي، بأنواعها المختلفة، متفاعلين معها، وسنحاول دراسة هذه الأنواع واستجلائها في اشعاره ، والذي نقل من خلالها إلى المتلقي تجربته الاغترابية المسكونه بهاجس التمييز والاغتراب والتفرد والثورية في كل ابعادها الشعرية ، الأمر الذي يؤدي إلى فهم الغرض الذي من أجله قال هذا النص الشعري.

أنواع الاغتراب:

إنَّ ظاهرة الاغتراب في المجتمع العربي قبل الإسلام لم تكن وليدة رغبة شاعر، أو تقليداً فنياً، إنما هو ظاهرة أوجدتها حالة من الصراع المُعبِّر عن افتقار الذات إلى الانسجام أو التوافق مع المتطلبات المادية والمعنوية للذات المغتربة اذ يصعب نجم هذه الذات والحد من انطلاقها وبحثها عن فرديتها الخاصة .

تتعدد أنواع الاغتراب وتتشابك دوافعها في علاقات سببية نابعة من ظروف الحياة العامة التي يعيشها الإنسان المغترب، على نحو عام , والشاعر على نحو خاص وفي ضوء ذلك يمكننا أن نقسم مضامين الاغتراب على أنواع متعددة، منها:

أولاً: الاغتراب الاجتماعي

يُعدَّ الاغتراب الاجتماعي واحداً من أبرز أنواع الاغتراب التي عاناها الشعراء قديماً وحديثاً، وهو يعني باختصار " شعور الفرد بالانفصال عن جانب أو أكثر من جوانب المجتمع، كالشعور بالانفصال عن الآخرين، أو عن القيم والأعراف والعادات السائدة في المجتمع، أو عن السلطة

السياسية الحاكمة، وما يصحب ذلك من إحساس بالألم والحسرة، أو التشاؤم، واليأس وما يرافقه أحياناً من سخط أو تمرد أو نقمة أو ثورة"[8].

ومن هنا يتضح أن الاغتراب الاجتماعي يرتبط بمفهوم الرفض، فالفرد يحسُّ نفسه غريباً عن محيطه ومجموعته الاجتماعية التي يعيش ضمنها، فإنْ لم يستطع التأقلم والانسجام مع محيطه الخارجي، فإنه سيشعر بالغربة والاغتراب، ويجعله ذلك غريباً وبعيداً عن نواحي واقعه الاجتماعي[9].

فضلاً عن إنَّ مغادرة الوطن وما يعتري ذلك من مشاعر الخوف والقلق تقود إلى اغتراب اجتماعي؛ ذلك لأنَّ الإنسان حين يغادر وطنه، فإنه يغادر ذلك الوطن بمكوناته الاجتماعية، والثقافية والديني، ويشعر بالأسى تجاه المكونات الاجتماعية، أفتقدها في وطنه ذاك, الامر الذي يقوده نحو الإحساس بالغربة والاغتراب الاجتماعي اذ تعد بلاد الغربة مكاناً مجهولاً للوافد عليه , ويتوقع منه المكاره لجهله به وبطبائع اهله [10].

لقد اسهمت هذه العوامل وغيرها في تكوين الاغتراب الاجتماعي ، فكل ما يحيط بالانسان من بيئة مادية او معنوية يمكنها أن تكون سبباً في إظهار هذا النوع من الاغتراب اذ تأخذ حلقات التواصل الاجتماعي بالتفكك وتظهر بوادر الاستنكار والرفض فيحصل عند ذاك التجافي، وتظهر بوادر الخلاف وجدية الانتماء بين الذات والجماعة التي ينتسب إليها، فتؤدي إلى حالة من الإحباط والتشاؤم من الواقع الاجتماعي المتردي ، ولعلَّ هذا الأمر قد ولَّد شعوراً عميقاً بالشكوى والاغتراب من ذلك الواقع المبني في أساسه على نوع من العقد الاجتماعي الذي تتحقق في ظلاله فردية الذات المنبثقة من روح الجماعة، لتشكل آفاقاً جديدة مشوبة بالضغينة والحقد لتبقى المجافاة الاغترابية تتحكم بالعلاقات الاجتماعية بين الاطار الاجتماعي الذي ينتمي إليه الفرد[11].

وقد ذكرت المصادر الأدبية بأنَّ الحارث بن التوأم اليشكري خال المتلمس، عيّره بنسبه وانتقص قدرهُ عند الملك عمرو بن هند، فلما بلغ ذلك الموقف المتلمس فارق اخواله ليلحق بقومه بني ضبيعة بن ربيعة وقد روى الشاعر تلك الحادثة في قصيدته الميمية التي عكست حقيقة هذا التوتر الاجتماعي والتي يفخر بأمه وقومه ، إذ يقول[12]:

(الطويل)

يُعيّرنُي أمّي رجالٌ، ولا أرى ... أخا كرمٍ إلاَّ بأنْ يَتَكرَّما
ومن كانَ ذا عِرْضٍ كريمٍ فلم يَصُنْ ... لهُ حَسَباً كان اللئيمَ المَذمَّما
أحارثُ، إنّا لو تُشاطُ دماؤنا ... تَزَيَّلنَ حتى لا يَمَسَّ دَمٌ دما
أمتنقلاً من آل بُهْثَةُ خِلْتَني ... ألا إنَّني منهُمْ وإنْ كنتُ أَيْنَما
أَلا إنني منهُمْ وعِرْضِيَ عِرضُهُم ... كذي الأَنفِ يحمي أنفَهُ أن يُكَشَّما
وإنَّ نصابي إنْ سألْتَ وأُسْرتي ... مِنَ النَّاسِ حَيٌّ يَقْتَنونَ المُزَنَّما
وكُنَّا إذا الجبّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ... أَقَمْنا لهُ مِن مَيْلِهِ فَتَقَوَّما
لذي الحِلْم قبلَ اليوم ما تُقْرعُ العَصا ... وما عُلِّمَ الإنسانُ إلا لِيَعْلَما
ولو غَيْرُ أَخوالي أرادوا نقيصتي ... جَعَلْتُ لهُمْ فوقَ العرانين ميسَما
وهل لي أمٌّ غيرُها إنْ تركتها؟ ... أبَى اللهُ إلاّ أنْ أكونَ لها ابنَا

في هذا النص المشحون بعواطف الاعتزاز والإباء، إلى جانب اللوم والتقريع المبطنين من الشاعر لخاله – الحارث بن توأم اليشكري – الذي حاول أن يقلل من شأنه ويطعن في نسبه، وينظر إليه نظرة دونية ازدرائية، مستنكراً موقفه هذا، عبر صوته الشعري بالدفاع عن وجوده ونسبه وعرضه، ليثبت لخاله شرف أرومته من خلال انتمائه إلى (آل بهثة)، وعلى الرغم من تلك الإساءة إلاّ أن الشاعر لا يزال ينزل خاله منزل القريب؛ ليؤكد شرعية صلته بأمه التي لا تنفصم ولا تنتقص.

ومن هنا يظهر لنا جانب الاغتراب الاجتماعي لدى المتلمس الضبعي، حينما حاول أن يخلق نوعاً من التوازن بين موقف أخواله السلبي أمام ملك الحيرة، وبين ما يكنّه لهم من مشاعر الود والوفاء، وفي ظل هذه الثنائية يحصل الاغتراب على مستوى الذات المحكومة بطبيعة التغيرات الاجتماعية تلك.

ولعلَّ أشد درجات الاغتراب الاجتماعي إيلاماً للنفس المغتربة ذلك الشعور بالضياع، والتردد بين الولاء للأخوال أو الأعمام، فيقول [13]:

(الطويل)

تَفَرَّقَ أَهلي مِن مُقيمٍ وظاعنٍ ... فللّهِ دَرّي أيَّ أَهليَ أتْبَعُ؟
أقامَ الذينَ لا أُبالي فِراقَهُمْ ... وشَطَّ الذينَ بَيْنَهُمْ أتَوقَّعُ
على كُلّهِمْ آسَى، وللأصْلِ زُلْفَةٌ ... فَزَحْزِحْ عنِ الأَدْنينَ أنْ يَتَصدَّعوا

000000000000000000000000 000000000000000000000000

أَلِكْني إلى قَومي ضُبَيَعَةَ إنَّهُمْ أُناسِي، فلومُوا بعدَ ذلكَ أو دَعُوا

وقد كـــــانَ أَخـــوالي كـــــريماً جِوارُهُمْ ولكنَّ أَصْلَ العُودِ من حيثُ يُنْزَعُ

يتضمن هذا النص إحساساً واضحاً بالاغتراب الاجتماعي، إذ يقف الشاعر في حيرة من أمره، أمام واقعه الاجتماعي المؤلم، فقد وجد نفسه بين أخواله – بنو يشكر – وليس بين أعمامه (قبيلة ضبيعة)، الأمر الذي يشتت الذات الشاعرة ويجعلها تعيش حالة من الدهشة والحيرة (فللّهِ أدري أي أهلي أتبع)، والتي تكمنُ في رؤية الشاعر لمشهد الفقد والفراق والتصدع للأهل والعشيرة ، ويرتبط حزن الشاعر على تلك اللحظات المأساوية بفكرة البحث عن الهوية، فالقبيلة (ضبيعة) تمثل هوية الشاعر، وإليها ينتسب، فهم أعمامه وأهله وإليهم ينتمي، فالأخوال وإن كانوا جيراناً كرماء، لكنه يبقى غريباً حتى يستقر به المقام بين أبناء قبيلته وعلى أرضها، وهكذا اختار الشاعر بعد تردد في الولاء بين العمومة والخؤولة الرجوع إلى الأصل (العمومة)، وتأكيد هويته من خلال الانتماء إلى القبيلة (ضبيعة). لقد وظف الشاعر تجربته الذاتي ليخلق زخماً نفسياً مليء بالحزن والاسى لتتجسد ظاهر الاغتراب من خلالها في سياقته النصية .

ثانياً: الاغتراب النفسي

في حالة الاغتراب النفسي، يشعر الفرد بانفصاله من ظرف إنساني مثالي، فيتطلع إلى الانعتاق من العالم المحيط به إلى عالم من وضع نفسه، إذ يتمثل ذلك في عدم التكيف أو التجاوب مع المجتمع أو البيئة التي يعيش فيها الإنسان نتيجة لأمور طارئة أو هجمة تقاليد وعادات غريبة تحدث هزّة بين الشعور والوجدان[14]، وهذا يعني انعزال الفرد عن قيمه وعاداته ومعتقداته، مما يفضي بالفرد إلى فقدان الإحساس بالذات، الأمر الذي يدفعه نحو الشعور بالاضطراب والعجز، وهو ما ينتهي به إلى الاغتراب.

إنَّ الاغتراب النفسي هو الحصيلة النهائية للاغتراب في أي شكل من أشكاله، وأنه انتقال الصراع بين الذات والموضوع الآخر من الحياة الخارجية إلى الحياة الداخلية. فالاغتراب النفسي لا ينفصل عن أي نوع آخر من أنواع الاغتراب؛ لأنَّ شخصية الإنسان وحدة متكاملة في جوانبها البيولوجية والنفسية والاجتماعية[15]، فقد يحدث الاغتراب النفسي نتيجاً للتناقض الكبير والحاد بين الذات الواقعية التي يعيشها الانسان والذات المثالية التي يسعى الى تحقيقها , فيشعر الفرد بالانفصال وعدم قدرته على التواصل مع الاخرين وهو مايفضي به من الاغتراب .

ومن مظاهر الاغتراب النفسي عند الشاعر الجاهلي ما يقاسيه من مشاعر جيّاشة جراء فراق المحبوبة وأهلها، ورحيلها إلى مكان مجهول، فيحسُّ بصعوبة ذلك الموقف على نفسه، ويشعر أنه في وحشة ووحدة، ومنه قول المتلمس الضبعي الذي يصور فيه لحظات الوداع لمحبوته وقومها وهم يحثون الخطى نحو الرحيل [16]:

(الوافر)

صَبا مِن بَعْدِ سلوتهِ فُؤادي وأَسْمَحَ للقَرينَةِ بانْقِياد
كأنّي شارِبٌ يومَ اسْتَبَدُّوا وحَثَّ بِهِمْ لَدَى المَومْاةِ حادِ

يظهر الشاعر في هذا النص عظيم الأسى والحزن لفقد الأحبة الظاعنين إلى أراضٍ بعيدة، فقد أدّى ذلك الفقد والفراق إلى شعوره بالاغتراب النفسي، فصار تائهاً غريباً، يلوذ بالخمرة للتسلية عنه، حينما شاهد القوم وقد أمضوا برأيهم، يحث بهم الحادي إلى تلك الفلاة المقفرة، فلحظة الوداع تحمل في داخلها ألم الغربة، وتؤكد على بُعد المكان الذي حلَّت به الحبيبة، وتذكر الأيام الماضية وتبكيها، وصعوبة اللقاء بها مجدداً، فأدّى هذا الفراق إلى إحساسه العميق بالاغتراب النفسي.

وتبدو ملامح الاغتراب النفسي واضحة لدى المتلمس الضبعي، وهو يحدث ابنه عما يحلُّ به، بعد موته من ألوان الذل والهوان، بعدما فارق أخواله ولحق بقومه بني ضبيعة، فيقول[17]:

(الطويل)

لعلَّكَ يوماً أنْ يَسُرَّكَ أَنَّني شَهِدْتُ، وقد رَمَّتْ عِظاميَ في قَبْري
فتُصِبحُ مَظلوماً تُسامُ دَنِيَّةً حَريصاً على مِثْلي فَقيراً إلى نَضْري
ويَهجُرُكَ الإِخْوانُ بَعدي وتُبتلى ويَنْصُرُني منكَ المَليكُ فلا تَدْري
ولو كنتُ حيّاً قبلَ ذلك لم تُرَمْ لهُ خُطَّةٌ خَسْفاً، وشُوورْتَ في الأمرِ

يُظهر هذا النص ما يمرُّ به الشاعر من القنوط النفسي والإحباط، فقد جعل من موتهِ سبيلاً لإذكاء مشاعر الألم والحزن واليأس في نفسه، فقد ولَّد الفراق حرقاً وألماً، وطغياناً لمشاعر الحزن والأسف

على باقي المشاعر فهواجس الغربة وفقدان الامل شديداً لديه ، الامر الذي يرسم صورة واضحة عن الشعور الاغتراب النفسي الذي يعيشه الشاعر بعيداً عن كنف أخواله.

واختار كثير من الشعراء المغتربين الليل زمناً نفسياً يعبّرون من خلاله عن واقعهم المأزوم الذي يؤرقهم بالهموم والآلام، ففي وقت الليل يكون توحد الإنسان وانعزاله، وقلة الأنس وضعف الانشغال كفيلة بتوارد الهموم وتكالبها على الإنسان فيضيق صدره حتى يضيق بالزمن، ولا شكَّ في أن اختيار الليل كزمن يعكس واقعاً نفسياً مغترباً يكون وقعه أسوأ على النفس؛ لأنَّ سوداوية الليل تعكس سوداوية النفس المثقلة بالهموم يعلنها المغترب في ليله ونهاره، كما يتضح ذلك في سينية المتلمس الضبعي[18]:فيقول

(البسيط)

حَنَّتْ قُلوصِي بها، والليلُ مُطرقٌ بعدَ الهُدُوِّ وشاقَتْها النواقيسُ
مَعْقولةٌ ينظرُ التشريقَ راكِبُها كأنَّها من هَوًى للرَّمْلِ مَسْلوسُ
وقد أَلاحَ سُهَيْلٌ بعدَما هَجَعوا كأنَّهُ ضَرَمٌ بالكَفِّ مَقْبوسُ
حنِّتْ إلى نَخْلَةَ القُصْوَى فقلتُ لها: بَسْلٌ بكَ أَلا تلكَ الدهاريسُ

يتجلى في هذا النص هاجس الاغتراب النفسي لدى الشاعر، وقد أشرك معه ناقته التي أضناها الحنين والشوق إلى العراق وأهله عند اشتداد سواد الليل، الذي تهجم فيه هموم الأحزان على الإنسان بعد الهجوع والسكينة، ومما يهيج شوق تلك الناقة النواقيس التي سمعتها فتذكرها بالعراق ليجد الشاعر في ذلك ما يواسي به نفسه المهمومة ويخفف من آلامه ووحشته , فقد القى الشاعر مافي داخله على الناقة ليعبر من خلالها عن شعور حقيقي تمتزج به مشاعر الحنين والخوف وهو يلومها على اندفاعها وراء هذا الشوق والحنين لان فيه هلاكها ، وقد دلَّ الفعل (شاق) في التعبير عن شكواه، وهي في الوقت ذاته دعوة إلى المتلقي لمشاركته أحزانه، ولواعج نفسه. فالليل هو زمن استحضار الهموم وتكالبها على صاحبها، فهو وقت هدوء الناس، وهكذا ظهر لنا الشاعر المتلمس الضبعي في اغترابه النفسي، وهو يقاسي ألأم البُعد والفراق مضطراً عن الديار وأهله.

ثالثاً: الاغتراب السياسي

يتعلق الاغتراب السياسي بالانفصام الحاصل بين الفرد والسلطة التي تمثله في مجتمع ما، ففي حالة الاغتراب السياسي يشعر الفرد بعدم الرضا والرفض للأوضاع السياسية ونوع العلاقات القائمة بين المواطن والدولة، إذ يحول بينه والمشاركة في الحياة السياسية وصنع القرار، وتصبح السلطة

ممثلة لمصالح طبقة بعينها، وفي ذلك تعلن أن تحقيق مصالحها هو تحقيق مصالح المجتمع بأسره[19]، وبذلك تصادر حق المجتمع السياسي، وقد يؤدي ذلك إلى ثورة وتمرد ونقمة وسخط .

فالفرد أصبح يشعر بالعجز عن المشاركة السياسية الحقيقية وبالعزلة وبالضياع والقهر الناجم عن استمرارية الاستبداد السياسي في ظل غياب المساواة والعدالة الاجتماعية , الامر الذي يؤدي الى فقدان الامل والقنوط والياس في اعماق نفسه ، فرأيه لا يسمعه أحد، وإن سمعه لا يهتم به ولا يأخذ به، فهو يعيش على الهامش، والدولة لا تسعى إلى إسعاده، ولا تُعنى بحاجاته.

وفي المجتمع العربي قبل الإسلام تطور الاغتراب عبر الخروج عن القبيلة، والتمرد على العادات والتقاليد، فكان الخروج لانعدام المساواة والعدل، وزيادة الإحساس بالظلم وسوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، فهناك من الأفراد من طردتهم قبائلهم لإلحاق الأذى بجيرانهم، وارتكاب السطو والإغارة والسلب، مما حمَّل قبائلهم الديات، وساء جوار قبائلهم مع غيرها من القبائل الأُخرى، وقد القت الظروف السياسية السائدة في العصر الجاهلي بظلالها على المجتمع العربي انذاك فكان لها الدور الاساسي في اثارة الحس الجاهلي العام , واحالته الى حالة من الصراع النفسي الحاد بين التعامل مع الاحداث السياسية الجارية , كونه فرداً ضمن المنظومة القبلية التي ينتمي اليها , وبين الرغبة الجنوح نحو الامن والاستقرار , مما ينتج من هذين الواقعين شعور ذاتي بالاغتراب ، وما يتبع ذلك من آلام نفسية متجددة، تتجسد آهاتها بالشكوى والضجر والشعور بالقلق، والخوف من المجهول[20].

ولقد قاسى شاعرنا المتلمس الضبعي من الاغتراب السياسي بسبب العلاقة المتأزم مع السلطة متمثلة بشخص عمرو بن هند ملك الحيرة. فقد حاول الأخير التخلص من المتلمس وانهاء حياته بعد أن هجاه الاخير، من خلال صحيفة المتلمس الشهيرة، إلاّ أنه نجا من تلك المحاولة، وأفلت هارباً إلى الشام، وهناك اتصل بملوكها الغسانيين أعداء المناذرة، ويبلّغ عمرو بن هند ذلك فيحلف أن لا يطأ المتلمس أرض العراق، ليعيش شاعرنا ما بقي من عمره غريباً منفياً عن أهله ووطنه، يعاني أوجاع الغربة والاغتراب، داعياً من هناك القبائل العربية لاسيّما بكر بن وائل للثورة على هذا الملك الطاغية، يقول[21]:

(البسيط)

يا آلَ بكرٍ، أَلا لِلّهِ أُمُّكُمُ طالَ النِّواءُ وثوبَ العَجْزِ مَلْبُوسُ
أغنَيْتُ شأني، فأغْنُوا اليومَ شأنكُمُ واستحمقوا في مِراسِ الحَرْبِ أو كِيسُوا
إنَّ عِلافاً ومَن باللَّوْذِ من حَضَنٍ لمّا رأَوا أَنَّهُ دِينٌ خَلابِيسُ

شَدُّوا الجِمالَ بأكوارٍ على عَجَلٍ والظُّلْمُ يُنْكِرُهُ القَومُ المَكاييسُ

في هذا النص يحرّض الشاعر قبيلة بكر بن وائل على الثورة وإظهار البطولة، وعدم قبول الظلم، ويضرب مثلاً في (علافاً) وقومه حين أبو الضيم، ونافحوا حتى استطاعوا أن يردوه عن قبيلتهم، وهو ما يدلل على الخصومة السياسية، والتي تبرز ألوان الرفض المشوبة بالحس المغترب، لتعبّر عن رغبة جامحة بتغيير هذا الواقع المرير الذي يعيشه الشاعر، تخالط دعوته تلك مرارة الحزن وشهوة الانتقام المشحون بالتوتر الذي يولّد آثاراً نفسية تعمق الشعور بالاغتراب على المستوى السياسي.

وفي نص آخر تتضح فيه هواجس الاغتراب السياسي من خلال العلاقة المتوترة بين المتلمس وعمرو بن هند، إذ يخاطب فيه غريمه عمرو بن هند بعد ان اقسم الشاعر باللات والاوثان على هجائه والنيل منه ، فيقول[22]:

(الكامل)

أطرِدْتَني حَذَرَ الهِجاءَ، ولا واللاَّتِ والأَنصابِ لا تَئِلُ
وَرَهَنْتَني هِنْداً وَعِرْضَكَ في صُحُفٍ تَلوحُ كأنَّها خِلَلُ
شَرُّ المُلُوكِ وشَرُّها حَسَبَاً في الناسِ مَنْ عَلِموا ومن جَهِلوا
الغدْرُ والآفاتُ شِيمَتُهُ فافهَمْ، فعُرقوبٌ لَهُ مَثَلُ
بئسَ الفحولةُ حينَ جدَّ بهم عَرَكُ الرِّهانِ، وبئسَ ما بَخِلوا

تظهر في هذا النص بشكل جلي حالة القلق والتوتر والرهبة التي بات يعيشها المتلمس بعد طرد ملك الحيرة عمرو بن هند له، ذلك أن قرار الطرد والابعاد يمثل عملية إقصاء ونفي واغتراب للذات الإنسانية، وانسلاخاً لها عن وجودها ومكانها، فقد اضطر الشاعر في تلك الظروف العصيبة الى ايثار منفى عن الاقامة في دياره واهله , ونتيجة لهذا الشعور الاغترابي نجد أن الشاعر المتلمس يثور على هذا الفعل المجحف الذي تمارسه السلطة بحقه ، فقد اتخذ من هجاء السلطة والنيل من شرفها. ووصفها بأبشع الصفات مثل الغدر الخديعة وإخلاف العهود وضرب عرقوب مثلاً كي يجسد

تلك الصفات الذميمة التي كانت في عرقوب , في السلطة الغاشمة ممثلة في شخصية عمر بن هند وجعلها وسيلة للانتقام منها، فهي سبب آلامه وأحزانه وغربته واغترابه.

رابعاً: الاغتراب الوجودي.

من القضايا التي تؤثر في نفس الإنسان على نحو عام، ولدى الشاعر على نحو خاص ما يتعلق منها بالنواحي الوجودية، فقد عبَّر الشاعر عن مخاوفه ومواقفه من قضايا مصيرية لا يستطيع تفسيرها، مثل ثنائية الحياة والموت، والوجود والعدم، ووقوع الإنسان في قبضة الزمن الصارمة ومقدار نصيبه من السعادة والشقاء، والمصاعب التي توضع في طريقه منذ الساعات الأولى لولادته وحتى مماته، كما تساءل الشعراء في ألم وحيره عن قصة الإنسان بدايتها ونهايتها وهدفها ومغزاها، وقد شغلت هذه الأسئلة وغيرها عقول الفلاسفة والمفكرين منذ القِدم في مختلف الحضارات، وكانت الشغل الشاغل لعدد كبير منهم في العصر الحديث[23].

إنَّ هذه الرؤية المشبعة بالاضطراب والخوف زرعت في نفس الشاعر الجاهلي القلق واليأس، وكان ينتابه شعور بحتمية الفناء والموت، الأمر الذي دفع به إلى اقتناص اللذات الحسية وكأنها فرص يخشى أن تفوته قبل أن يغتنمها، ويرى أن يحقق من خلالها ذاته في مجتمعه. فشخصية الشاعر الجاهلي تكره الرتابة والجمود وتسعى إلى الحرية والثورة والتمرد عن كل من يفرض عليه حتى ولو كان هذا المفروض هو الموت نفسه، وتحاول الخلاص من مظاهر الاستعباد، فهو السبيل لإظهار ملامح الوجود لدى الشاعر، ومكون أساس من مكونات الاغتراب لديه[24].

إنَّ تجليات الاغتراب الوجودي في الشعر الجاهلي تباينت في قضايا مختلفة كالخوف من الموت، والقلق من المصير بعده، والتساؤلات عن حقيقة الوجود والحياة، فضلاً عن الرغبة في التحرر وإبراز الذات وتضخيم الأنا، والإغراق في الملذات والشهوات، كل ذلك قد أثار لدى الشاعر الجاهلي هواجس الاغتراب والقلق الوجودي.

ففي نص للمتلمس الضبعي يبرز فيه الاغتراب الوجودي القائم على الصراع بين الحياة والموت في نفس الشاعر، فالشاعر فيه قلقاً يتهدده في الوجود مؤمناً بحتمية الموت والفناء، إذ يقول[25]: (البسيط)

لكنَّهُ حَوْضُ من أَذْوى بإخوتِهِ ... رَيْبُ المَنُونِ، فأَضْحَى بَيْضَةَ البَلَدِ
لو كانَ يُشكى إلى الأمواتِ ما لقِيَ الـ ... أحياءُ بَعْدَهُمُ مِن شِدَّةِ الكَمَدِ
ثُمَّ اشتكَيْتُ لأَشكاني، وساكِنُهُ ... قبرٌ بِسِنْجارَ أو قبرٌ على قَهَدِ

يمثل هذا النص أنموذجاً للصراع الدائر في خلجات النفس لدى الشاعر؛ نتيجة ما يجري من اختلاف في عناصر الوجود التي تحيط به، باثا فيه مشاعر الخوف والرهبة من الموت وتشاؤمه من الحياة , تلك الحقيقة التي اقلقت الشاعر , واقضت مضجعه وذهنه , فامسى منفرداً لا ناصر له بمنزله بيضة البلد قام عنها الظليم وتركها ، فالشاعر ينظر الى الموت على إنه مجهول لا يعرف كنهه أحد، الأمر الذي دفع بالشاعر أن يخلق الحكمة التي يراها سبيلاً للحقيقة، وهي أنه لا يمكن بحالٍ أن يشتكي الأحياء إلى الأموات، مما حلَّ بهم من أحزان ومصائب، ومع ذلك فقد اشتكيتُ إلى من قبره بسنجار أو بقهد، فلم يتقبلا ظلامتي وشكواي، الأمر الذي يكشف عن إحساس الشاعر بالمفارقة والحيرة والاضطراب في مواجهة هذا الفناء المحيط به، فالموت والفناءاكثر العوامل اثارة لمشاعر القلق الاغتراب في أعماق النفس .

كما يتضح الاغتراب الوجودي ايضاً في رائية المتلمس التي يرثي فيها نفسه، صارخاً من أعماقه من وقع مصيبة الموت التي ستحول بين لذّاته ولهوه، يقول[26]:

(الطويل)

خليليَّ إما مُتُّ يوماً وزُحْزِحَتْ مَناياكُما فيما يُزَحْزِحُهْ الدَّهْرُ
فَمُرّا على قَبْري، فقُوما فسَلِّما وقُولا: سَقاكَ الغَيْثُ والقطرُ يا قَبْرُ
كأنَّ الذي غَيَّبْتَ لم يَلْهُ ساعَةً منَ الدَّهْرِ، والدُّنيا لها وَرَقٌ نَضْرُ
ولم تَسْقِهِ منها بعذْبٍ مُمَتِّعٍ بَرُودٍ، حَتَمْهُ القَوْمَ رَجْراجةٌ بِكْرُ
ولم يَصْطبحْ في يومِ حَرٍّ وقِرَّةٍ حُمَيَّا، فدبَّتْ في مَفاصلهِ الخَمْرُ
ولم يَرُعِ العِيسَ الكوانِسَ بالضُّحَى بأسرارِ مَوْليٍّ أَلَدَّتُهُ صُفْرُ

عبَّر الشاعر في هذا النص عن مأساته وصراعه مع الموت الذي يحرص الشاعر على تغييبه من تفكيره عن طريق إتيان الملاهي ومعاقرة الخمرة، فقد أصبح رهين القبر، ولكنه – الموت – يبقى حقيقة ماثلة أمام العيان يفزع منها كلما تذكرها، يتهدده في كل لحظة، تتربص به الدوائر، وهو واقع لا محالة ولا سبيل الى انكاره والهروب منه ، فلم تبقِ تلك القوة المدمرة كل وجوه اللذة واللهو، فلا المرأة ولا الخمرة، ولا رعي العيس الكوانس تنجي من الموت، فكان ذلك سبباً لتنغيص عيش الشاعر، وتنكيد حياته ، وتأجيج نار الاغتراب الوجودي المتعلق بمسالة الحياة والموت التي أكتوت بها نفسه المثقلة بالهموم والاحزان .

الاغتراب المكاني:

يُعدُّ الاغتراب المكاني واحداً من أنماط الاغتراب التي يعيشها الشاعر؛ لأنَّ المكان في حياة الإنسان عموماً والشاعر على نحوٍ خاص ليس إطاراً مجرداً لوجود الإنسان فيه، بل إنه يغدو مشبعاً بالدلالات النفسية والاجتماعية والمعاني والرموز، ويكون شديد الصلة بأحاسيس الألفة والأمان أو التهديد والوحشة والعداء.

يحتلُّ المكان حيزاً مهماً في حياة كل إنسان. ولذلك فإنَّ كل ملائمة للمكان إنما هي ملامسة لشبكة العلاقات التي تربط الأشخاص بالمجال المعيشي، ارتباط وجود وانتماء، وهوية. فالمسألة المكانية لا تقف عند حدود التأطير وحسب[27]، وإنما تتعداها إلى مجالات إنسانية أوسع.

ولمّا كان الشعر العربي شعراً مكانياً في ارتباطه بالبيئة التي أنتجته والإنسان الذي أبدعه، كان لزاماً على الدرس الأدبي أن يلتفت إلى المكان فيه، فالمكان عند الشاعر ليس ذلك المعطي الخارجي المحايد الذي نعبره من دون أن نأبه به، وإنما المكان (حياة) لا يحده الطول والعرض فقط، وإنما خاصية الاشتمال[28].

يُعدُّ الشوق والحنين إلى الوطن وساكنيه من أسباب الاغتراب المكاني فقد ارتبطت الغربة المكانية بـ "بالمكان والمجتمع معاً , لانها غربة مجتمع عن ارض يرتبطون بها او غربة شاعر عن ارضه ومجتمعه, ولهذا فان الحنين الى الارض يتراكب مع الجنين الى الاهل والبين عن مكان هو بين الوطن الذي يجمع بين دفتيه عناصر مكانية وبشرية " وقد ينتقل الانسان من مكان الى اخر مضطراً بفعل عوامل متعددة , ولكن سرعان ما يعصف به الحنين والشوق الى اهله ووطنه , الامر الذي يذكي في نفسه مشاعر الحزن والاسى والالم يعبر به في ثنايا شعره [29].

وقد شغل المكان حيزاً مهماً من تفكير شاعرنا المتلمس الضبعي، إذ يندر أن تأتي قصيدة من دون أن تشتمل سرداً لمواضع بعينها تركت أثراً في نفسه إيجاباً أو سلباً، وأكثر هذه الأمكنة ذكراً هما العراق والشام، محملين ثقلاً عاطفياً وجدانيا فالعراق أرض الخوف، وأرض السلطة المستبدة، اما أرض الشام أرض الأمان، وأرض الضيافة والعطاء.

يحرص المتلمس في كل مناسبة على ذكر العراق الذي تركه مرغماً , وهرب الى ارض الشام طريداً خائفاً من عمر بن هند وبطشه على الرغم من علمه ما ينتظره هناك من مخاطر، ولكن وجع الفراق وآلام الغربة، يدفعانه إلى البوح عن حنينه وشوقه، يقول[30]:

(البسيط)

حنَّتْ إلى نَخْلةِ القُصْوَى فقلتُ لها: بَسْلٌ عليكِ ألا تلكَ الدَّهاريسُ
أُمِّي شأميَّةً، إذ لا عِراقَ لنا قَوماً نَوَدُّهُمُ إذ قَوْمُنا شُوسُ
لن تَسْلُكي سُبُلَ البَوْباةِ مُنجِدَةً ما عاشَ عَمْرٌو وما عُمِّرتَ قابوسُ
00000000000000000000 00000000000000000000
أليْتَ حَبَّ العراقِ الدَّهْرَ أَطْعَمُهُ والحَبُّ يأكُلُهُ في القَريةِ السُّوسُ
لم تدْرِ بُصرى بما آليْتَ مِن قَسَمٍ ولا دمشقُ إذا دِيسَ الكَدادِيسُ

في هذا النص تتضح صورة الاغتراب المكاني الذي يقاسه الشاعر، وهو بعيد عن الوطن وأهله، بعد أن حُرِمَ منه واقعاً ظلماً وعدواناً، إذ يحاول الشاعر في حوارية رائعة مع ناقته إقناعها بالعدول عن حنينها إلى العراق لأنَّ فيه هلاكها، وأن توطن نفسها على فراق العراق الذي صار غريباً عنها، ويأمرها بالاتجاه صوب الشام، ونسيان ذلك الطريق المفضي إلى العراق ما دام فيه عمرو بن هند وأخيه قابوس، فالتفاتته إلى ناقته لعلها تُسلي همومه، وتحمل عنه بعض أعباء روحه المرهقة، الأمر الذي يعكس حياة الشاعر القلقة والمضطربة بسبب تهديدات السلطة له، فهو يعاني من تمزق نفسي بين عاطفة الحنين والشوق وبين صوت العقل البصير الذي يحسن تقدير الامور .

وفي نص آخر يعبّر الشاعر عن اغترابه المكاني، إذ مصرحاً فيه عن زهدِهِ بالعراق وأهله، فيقول[31]:

(الكامل)

إنَّ العراقَ وأهلَهُ كانُوا الهَوَى فإذا نَأى بي وَدُّهُمْ فَلْيَبْعُدِ
فلتتركهُمْ بليلٍ ناقتي نَذَرُ السماكَ وتهتدي بالفَرْقَدِ
00000000000000000000 00000000000000000000
لِبلادِ قومٍ لا يُرامُ هَدِيُّهُمْ وهَدِيُّ قومٍ آخرينَ هو الرَّدي
إنَّ الخيانةَ والمغالةَ والخَنَا والغَدْرَ أترُكُهُ ببلدةِ مُفْسِدِ
فـــــإذا حللــتُ ودونَ بَيْتـــيَ غـــاوَة فابْرُقْ بأرضِكَ ما بَدا لكَ وأرعُدِ

في هذا النص الاغترابي ، يتضح فيه غربة الشاعر المكانية بشكل جلي، بعد ان قرر مغادرة العراق، بعد أن كان موطن العشق وحشاشة الروح، و أضحى موطن الخيانة والغدر، فأهل العراق الذين شطَّ للشاعر ودّهم وبادلوه المحبة نكراناً، وجفوةً قاصداً بدلاً عنهم قوماً اخرين يحفظون عهده، يجاور فيهم، فلا يضام عندهم، ولا يتنكرون له كما تنكر أهل العراق، مستعيناً بناقته سبيلاً لتحقيق ذلك. فهي تحث الخطى ليلاً تقطـع الفيافي، قاصدة طريق الشـام، فهو سبيل الخـلاص ونهاية الأحزان. لقد اتخذ الشاعر في النصين السابقين من الناقة رمزاً معادلاً موضوعياً لمعاناته وحنينه وتشوقه إلى الديار وأهله.إنَّ ما جرى للشاعر من فراق الديار وأهله أدى إلى إحساسه العميق بالاغتراب النفسي والروحي ، هذا الإحساس استطاع الشاعر أن يترجمه بهذه الأبيات الشعرية التي وصف فيها حالته النفسية، نتيجة لما وقع عليه من وجع الفِراق، وجهل المصير وإحساس الخوف والتوتر.

الخاتمة:

أما أبرز النتائج التي خلص إليها البحث، فهي:

- لم يقف مفهوم الاغتراب عند حدود النزوح عن الوطن والبعد عنه ، وإنما تطور إلى أبعد من ذلك، ليدلل عن انفصال الذات عن المجتمع، وعن الأفراد الاخرين, وليصبح مفهوماً شاملاً يتناول جوانب الحياة الانسانية المختلفة .

- أسهمت الظروف السياسية والاجتماعية والنفسية التي عاشها المتلمس الضبعي في تكوين ظاهرة الاغتراب لديه، فقد شكلت هذه الظروف رافداً مهماً في بروز هذه الظاهرة في أشعاره بشكل واضح وجلي, فجاءت اشعاره صورة صادقة جسدت حالة الاقتراب التي يعيشها الشاعر بجميع انواعها .

- جاء الاغتراب الاجتماعي، نتيجة لرفض الشاعر لكثير من القيم الاجتماعية الذميمة التي تتقاطع مع رؤية الشاعر، مثل جفوة الأقارب، وإنكار الجميل، والحقد، والضغينة، واخلاف العهد، والظلم، والغدر، والوشاية، وغيرها من انماط مرفوضة من السلوك الاجتماعي .

- أما الاغتراب النفسي، فقد تولّد نتيجةً لحنين الشاعر وشوقه إلى الوطن وأهله، بعد ان اضطرا الى ترك العراق ولجوئه إلى الشام خوفاً من بطش ملك الحيرة عمرو بن هند الذي توعده بالقتل ، وقد اتخذ من الناقة رمزاً و معادلاً موضوعياً للتعبير عن حنينه وشوقه , مجسداً الواقع النفسي الذي يعيشه المغترب بعيداً عن وطنه واهله , مكتوياً بنار الغربة .

- عكست البيئة السياسية التي عاشها الشاعر واقعاً سياسياً مغترباً، مشحوناً بالتوتر، بسبب الصراع القائم مع السلطة الغاشمة متمثلة بملك الحيرة عمرو بن هند الذي توعد الشاعر بالقتل، فاضطر الى مغادرة الوطن وترك الاهل تحاشياً من بطش الملك وفتكه.
- كما عانى الشاعر القلق و الاغتراب الوجودي، بسبب عجزه وحيرته عن تفسير كثير من الظواهر الوجودية مثل ثنائية الحياة والموت والخلود والمغزى من وجوده وغيرها تفسيراً موضوعياً يمكن أن يطمئن إليه ويكفل له الاحساس بالآمن .
- أما الاغتراب المكاني ، فقد أثار المكان البديل هواجس الخوف والقلق الشاعر، وأحدث في كيانه فجوة نفسية، وإحساس عميق بالأسى والحسرة عبَّرت عن الواقع غير المنسجم مع الذات، تمثلت بما يلقى المغترب من نفي وتشرد وتهديد واضطراب نفسي وغير ذلك من الأمور التي يلقاها في بلاد الغربة.

الهوامش:

(1) ابن منظور (2008)م. لسان العرب. (ط2). بيروت. دار الكتب العلمية. (غَرَبَ).

(2) المصدر نفسه، مادة (غَرَبَ).

(3) سلامي، سميرة (2000)م، الاغتراب في الشعر العباسي – القرن الرابع الهجري. ص19.

(4) يُنظر: خليفه , عبداللطيف (د.ت) دراسات في سيكولوجية الاغتراب من 141 – 144 ينظر : شديفات، د. فتحي إرشيد (2009)م، ظاهرة الاغتراب في شعر الصعاليك واللصوص حتى نهاية العصر العباسي ص 22–23.

(5) يُنظر: جعفر، محمد راضي(1999)م. الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر. ص1.

(6) يُنظر: خليف، مي يوسف (د.ت). ظاهر الاغتراب عند شعراء المعلقات . ص15–16. وينظر سلامي , سميرة : 69

(7) يُنظر: الضبعي، ديوان المتلمس (1998)م. رواية الاشرم وابي عبيدة عن الاصمعي. تحقيق وشرح: د. محمد التونجي. ص 41–44.

(8) سلامي، سميرة (2000)م، الاغتراب في الشعر العباسي – القرن الرابع الهجري: 80–81.

(9) يُنظر: المصدر نفسه: 151.

(10) يُنظر: المصدر نفسه: 123–124.

(11) يُنظر: إسكندر، نبيل رمزي (2008) م. الاغتراب وازمة الإنسان المعاصر. : 32–33.

(12) ديوان المتلمس الضبعي: 138–142.

الحسب: الفعال الحسن له ولآبائه، العِرض: موضع المدح والذم من الرجل، الحارث: هو ابن قتادة بن التوءَم، تشاط: تخلط وتمزج، تزيلن: تباين وتفرقن، بهثة: بهثة بن ضبيعة بن ربيعة، جد الشاعر، الكشم: قطع الأنف، الزنمة: علامة لكرامة الإبلً، العرانين، مفردها العرنين، وهو أول الأنف، النقيصة: التنقص، ميسم: علامة، أو الآلة التي يوسم بها.

(13) الديوان: 119–121.

ظاعن: مرتحل، لله درك: لله عملك أو عطاؤك، شطَّ: بَعُدَ، بينهم: بُعدَهم، أسي: أحزن، الزلفة: القرب، زحزح: اجتهد، يتصدعوا: يتباعدوا ويتفرقوا، الكني: أرسلني، أناسي: قومي.

(14) يُنظر: محمود رجب، الاغتراب سيرة ومصطلح: 35.

(15) يُنظر: عبد اللطيف خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب: 80, و اسكندر , نبيل رمزي (1988) م الاغتراب وازمة الانسان المعاصر : 46

(16) الديوان: 80.

صبا: حسنَّ ومالَ إلى جهالة الفتوة، أسْمَحَ: صار من أهل الجود والسماحة، القرينة: النفس، استبدوا: مضوا برأيهم، حث: أسرع، المومأة: الفلاة لا ماء فيها، الحادي: سائق الإبل.

(17) الديوان: 91.

رمَّ العظم: بلي، تُسام: تُذل، الدنية: الذل والخسة، لم تُرم: لم تقصد، لم يهم بك، الخسف: النقص، الذل: الهوان.

(18) الديوان: 95-96.

القلوص من الإبل: الفتية، الليل مُطرَّق: مطروق، شاقتها: أثارت شوقها، معقولة: مربوطة، التشريق: أيام التشريق، وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر، سلسل عقله: ذهب، سهيل: نجم، ألاحَ: لمعَ، نخلة القُصوى: وادٍ على طريق الشام، وقيل: موضع في العراق، بسل: حلال وحرام (ضد)، الدهاريس: مفردها دهرس وهو الباطل والداهية.

(19) يُنظر: عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سايكولوجية الاغتراب: 97.

(20) يُنظر: عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي: 23-26، ود. فتحي رشيد شديفات، ظاهرة الاغتراب في شعر الصعاليك:32-35.

(21) الديوان: 93-94.

ألا لله أمكم: يتعجب منهم، الثواء: الإقامة، آل بكر: هم بنو بكر بن وائل، أغنيت شأني: كففت أمري، استحمق: طلب الحماقة، كيسوا: فطنوا وتعقلوا، علاف: زبان ابن علوان من قضاعة، الخلابيس: الغدر والأكاذيب، الكور: الرحل بأداته، المكاييس: الظرفاء الفطنون.

(22) الديوان: 128-129.

اللات: اسم صنم لثقيف في الطائف، الأنصاب: كل من عُبد من دون الله، رهن: أثبتَ، عرقوب: رجل جاهلي كان يُضرب به المثل في إخلاف المواعيد.

(23) يُنظر: حسن الخاقاني، رموز الاغتراب والغربة في شعر عبد الوهاب البياتي: 44-45.

(24) يُنظر: حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي: 272-274، وعبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي: 236-237.

(25) الديوان: 83.

بيضة البلد: أي من بيضة النعام التي تركتها، وهي كناية عن الرجل الذي لا نصير له، أو لا مثيل له، أودى: هلك، ريب المنون: صروف الدهر، سنجار: جبل ضخم يقع في شمال شرقي سوريا والعراق، قهد: اسم موضع، أشكاني: قبلَ شكواي.

(26) الديوان: 86-87.

برود: بارد، صفة حسنة للثغر، الرجرارجة: المرأة البدينة التي يترجرج كفلها، بكر: عذراء، القرة، البَرد: الحُميّا: الخمرة أو سورتها، العيس: الظباء البيضاء، الكوانس: مفردها كانسة، وهي الغزالة تدخل كناسها، المولي والوليّ: المطر يسقط بعد المطر.

(27) حبيب مؤنسي، فلسفة المكان في الشعر العربي: 5.

(28) يُنظر: وينظر المصدر نفسه : 16.

(29) يوسف , حسني عبد الجليل (2003) م , الادب الجاهلي .149 . يُنظر: عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي: 39-41.

(30) الديوان: 96-98.

نخلة: وادٍ على طريق الشام، بسل: حرام عليك، أمي: أقصدي، الأشوس: هو الذي ينظر إليك نظر المبغض، البوباة: ثنية في طريق نجد ينحدر منها صاحبها إلى العراق، آلى: حلف، حَبَّ: طعام، القرية: بصرى، وهي مدينة بالشام من أعمال الغساسنة، الكواديس: مفردها الكدس، وهو الحب المحصود المجموع.

(31) الديوان: 74-76.

نأى: بعُدَ، السماكان: كوكبان نيران، تذر: تترك، الفرقد: نجم يُهتدى به، الهدي (هنا): الجار، الردي: الردئ، المغالة: الغيلة، وهي القتل خفية، الخنا: الفحش في الكلام، غاوة: جبل، وقيل قرية بالشام، أبرق وأرعد: تهدد وأوعد.

مصادر البحث:

1.ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (2008)م. لسان العرب. تحقيق عامر أحمد حيدر (ط2). بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.

2.إسكندر، نبيل رمزي (1988) م. الاغتراب وأزمة الانسان المعاصر. (ط1). مصر– الاسكندرية. دار المعرفة الجامعية.

3.جعفر، محمد راضي(1999)م. الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر. (ط1). دمشق – سوريا: اتحاد الكتّاب العرب.

4.الخاقاني، حسن (د.ت). رموز الغربة والاغتراب في شعر عبد الوهاب البياتي. (ط1). العراق: مجلة كلية الآداب، جامعة الكوفة.

5.الخشروم، عبد الرزاق (1982)م. الغربة في الشعر الجاهلي. (ط1). دمشق – سوريا: اتحاد الكتّاب العرب.

6.خليفة، عبد اللطيف محمد (د.ت). دراسات في سايكولوجية الاغتراب. (ط1). القاهرة – مصر: دار غريب.

7.خليف، مي يوسف (د.ت)، ظاهرة الاغتراب عند شعراء المعلقات (د.ط) .بيروت – لبنان : دار الثقافة للطباعة والنشر .

8.سلامي، سميرة(2000)م. الاغتراب في الشعر العباسي – القرن الرابع الهجري.(ط1). دمشق – سوريا: دار الينابيع.

9.شريفات، فتحي إرشيد(2009)م. ظاهرة الاغتراب في شعر الصعاليك واللصوص حتى نهاية العصر العباسي الأول، (ط1). عمّان – الأُردن: الطريق للنشر والتوزيع.

10.مؤنسي، حبيب (2001) م، فلسفة المكان في الشعر العربي. (ط1). دمشق– سوريا: اتحاد العرب.

11.المتلمس، الضبعي (1998) م، رواية الأشرم وأبي عبيدة عن الأصمعي. شرح وتحقيق: محمد التونجي. (ط1). بيروت – لبنان: دار صادر.

12.يوسف، حسني عبد الجليل(2003)م. الأدب الجاهلي. ط(2). القاهرة – مصر: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.